حكايات من البيت القديم..

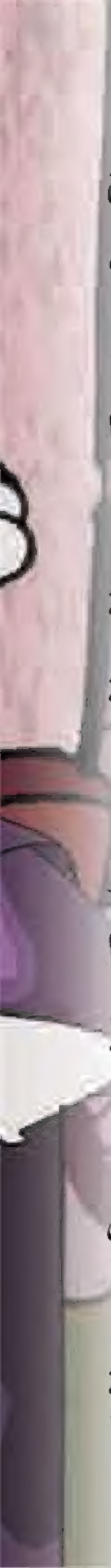


حصة العوضي

وردةُ والصُّرَّة



حكايات للأطفال من التراث الخليجي

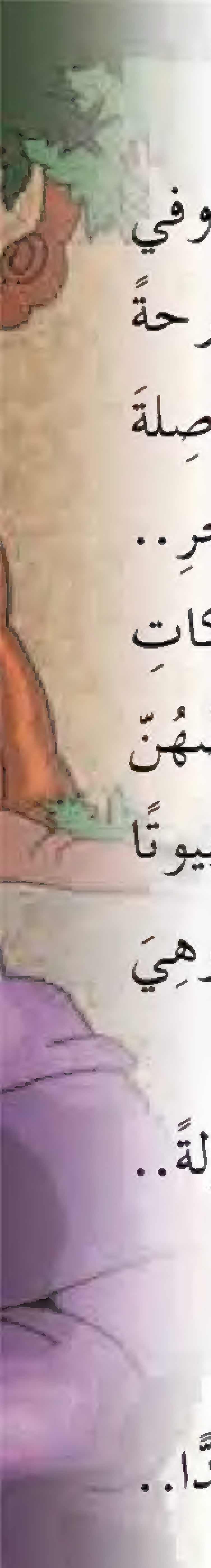


خرجَتْ «وردة» الصغيرةُ من بَيتِها في ذلكَ الصباحِ فرحةً مسرورةً.. تَقفِزُ قَفْزًا.. في طريقِها إلى بيتِ الخيّاطةِ الخالةِ (أُمِّ مِشْعَل) التي تسكنُ قربَ البحرِ.. تَحمِلُ بينَ يَدَيْها صُرَّةً مربوطةً بعنايةٍ كبيرةٍ.. أعطَتْها إيّاها أمُّها وهي تقولُ لها:

ـ صغيرتي.. هذه الصُّرَّةُ فيها ثيابُ العيدِ الخاصّةُ بكِ وبأخَواتِكِ.. وأريدُكِ أن تأخذيها إلى الخالةِ (أُمِّ مِشْعَل).. لتقومَ بتطريزِها بالخيوطِ الذهبيةِ.. ولكِنْ يا «وردة».. إيّاكِ أن تتوقَّفي هُنا وهُناك.. أو تَلعبي مع البناتِ على البحرِ.. فأنا لن أسامِحَكِ إذا أتلَفْتِ قطعةً واحدةً من الثيابِ.. فليسَ لدَيْنا نقودٌ أُخرى لِشراءِ غيرِها.. هيّا يا ابنَتي.. ليحفَظْكِ اللهُ.. ولتعودي إلى البيتِ مبكرًا.. فلدَيْنا الكثيرُ من العملِ اليومَ..

ابتَسَمَتْ «وردة» لوالدَتِها.. ووعَدَتْها بإطاعةِ





أوامِرِها.. والعودةِ إلى البيتِ سريعًا.. وفي الطريقِ.. كانَتْ «وردة» تسيرُ بِصُرَّتِها فرحةً مختالةً بما لدَيْها.. تَعبُرُ الطرقاتِ الضيِّقةَ الموصِلةَ إلى بيتِ الخالةِ (أُمِّ مِشْعَل) القريبِ من البحرِ.. وقَبْلَ أن تَصِلَ إلى ذلكَ البيتِ سمِعَتْ ضحكاتِ الصغيراتِ وهُنَّ يَلعَبْنَ بماءِ البحرِ.. يُبلِّلْنَ بعضَهُنَّ بعضًا.. ويَجْرينَ خَلْفَ بعضهنَّ بعضًا.. ويبنينَ بيوتًا وأسوارًا من رمالِ الشاطئ الجميلِ.. فتوقَّفَتْ وهِيَ تقولُ لنَفْسِها:

- اللهُ.. ما أجْمَلَ البَحرَ اليومَ.. لَيْتَني لم أكُنْ مشغولةً.. ورأتْها الصغيراتُ وهِيَ تَمرُّ قربَ الشاطئ..

فنادَيْنَها:

- «وردة» تعالَيْ لِتَلعَبي مَعَنا.. فالبحرُ جميلٌ جدًّا..

فردَّتْ «وردة» علَيْهِنّ:

- آسِفَةٌ.. لا وقتَ لدَيَّ.. يجِبُ أن أوصِلَ هذِه الصُّرَّةَ





إلى بيتِ الخالةِ «أُمِّ مِشْعَل»..

فأجابَتْها الصغيراتُ:

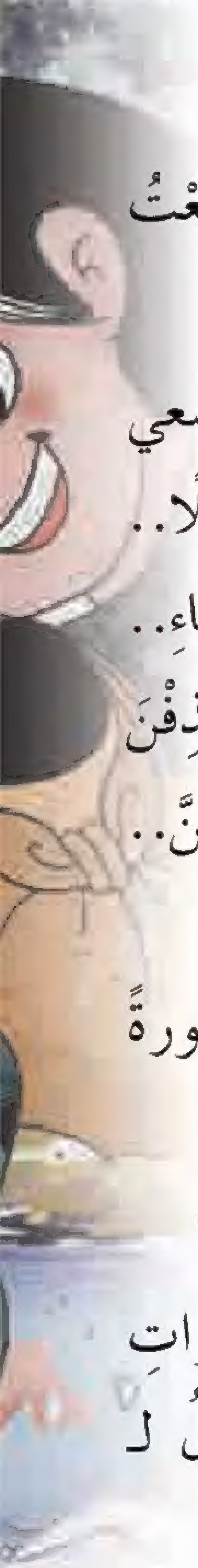
ـ لن يَذهَبَ بيتُ «أُمِّ مِشْعَل» إلى أيِّ مكانٍ.. هيّا العَبي مَعَنا قليلًا.. وبَعْدَها يُمكِنُكِ الذَّهابُ إلى حيثُ تريدينَ.

لكنَّ «وردة» تعلَمُ أنَّها قد وَعَدَتْ أُمَّها بألَّا تَلعَبَ مع الصغيراتِ قُرْبَ البحرِ.. وألّا تُتلِفَ أيَّ قطعةِ قماشٍ من الصُّرَّة.. لكنَّ البحرَ يُناديها.. وكذلِكَ الشاطئَ الجميلَ.. وصديقاتِها اللّاتي لا يَستَمْتِعْنَ باللَّعِبِ من دونِها..

فقالَتْ لهُنّ بِحُزْنٍ: آسفةٌ.. لقَدْ وَعَدْتُ أُمّي بِعَدَمِ اللَّعِبِ في البحرِ..

فرَدَّتْ صديقةٌ لها قائلةً: حسنًا لا نريدُكِ أن تُخالِفي أمْرَ والدَتِكِ.. لكنَّ أُمَّكِ لم تَطْلُبْ مِنْكِ ألَّا تَضَعي قدَمَيْكِ في البحرِ لدقائقَ فقَطْ.. أليسَ كذلِكَ..؟؟





فكَّرتْ «وردة»: حقًّا.. أُمّي لن تَغضبَ إذا وَضَعْتُ قدَمَيَّ في البحرِ قليلًا..

ثُمَّ نادَتْها الصغيرةُ الأُخرى: هيّا يا «وردة».. ضَعي الصُّرَّةَ جانبًا على الشاطئ.. وامْرَحي قليلًا..

وجَلَسَتْ «وردة» عِندَ البحرِ.. قَدَماها في الماءِ.. والصُّرَّةُ إلى جِوارِها على الشاطئ.. والبناتُ يَقذِفْنَ بالماءِ في كلِّ مكانٍ.. ويُبَلِّلْنَ كلَّ شيءٍ حولَهُنَّ..

ولم تَشعُرْ «وردة» إلَّا والصُّرَّةُ في البحرِ...

خافَتْ «وردة» كثيرًا ونهضَتْ من مكانِها مذعورةً تُشيرُ إلى صُرَّتِها البعيدةِ قائلةً:

ـ الصُّرّةُ.. الثيابُ.. ما الذي سيحدُثُ الآنَ..؟؟

وراحَتْ تَبكي بحُرقةٍ.. فأسرَعَتْ إحدى الصغيراتِ للنُّزولِ إلى الماءِ وإحضارِ الصُّرَّةِ وهي تقولُ لـ «وردة»:

ـ لا تخافي.. سوفَ أُحضِرُها لكِ..





لكنّ «وردة» استمرّتْ في البُكاءِ.. إنها ثيابُ العيدِ..
وأُمُّها لن تُسامِحَها إذا أتلَفَتْ قطعةً واحدةً منها..
فكيفَ إذا أتلَفَتِ الصُّرَّةَ كُلَّها..؟؟ وفي هذه اللحظةِ
أحضَرَتْ لها الصغيرةُ الصُّرَّةَ وهي غارقةٌ بالماءِ..
فأمسَكتْها «وردة» بخوفٍ شديدٍ وهي تقولُ:
ـ يا إلهي.. لن تسامِحَني أُمّي أبـدًا.. لقَد أتلَفْتُ
الثيابَ كلَّها.. ماذا أقولُ لِأُمّي الآنَ..؟؟ ماذا أقولُ
لِأخَواتي..؟؟ فلَمْ يَعُدْ لدَيْنا ثيابٌ للعيدِ بَعْدَ اليومِ..
كانَتِ الصغيراتُ يَخرُجْنَ من الماءِ وهُنَّ يَشعُرْنَ
بالندمِ.. ويَنظُرُ بعضُهُنَّ إلى بَعضٍ..
قالَتْ إحداهُنَّ: ليسَ ذلكَ شأْنَنا.. فأنتِ مَن أوقَعتِ
الصُّرَّةَ في البحرِ..
وقالَتْ أُخرى: هيَّا نَذْهَبُ.. فنَحْنُ لا ذَنْبَ لنا فيما
حَدَثَ..
وتحرَّكَتِ الفتياتُ الصغيراتُ معًا مبتعداتٍ عنْ



«وردة» التي ظلَّتْ وحدَها من دونِ أن تَجِدَ مَن يُساعِدُها في حَلِّ مشكلَتِها الكبيرةِ مع الصُّرَّةِ وثيابِ العيدِ.. وهيَ تقولُ لِنَفْسِها:

ـ لَيْتَني سَمِعْتُ كلامَ أُمّي.. ولم ألعَبْ في البحرِ.. ماذا أفعَلُ الآنَ..؟؟

ظلَّتْ «وردة» حائرةً تفكّرُ.. وتَبكي خائفةً من عقابِ أُمِّها لها.. فهي لا تعرِفُ ماذا تفعلُ.. وخصوصًا أن ثيابَ شقيقاتِها قد تَلِفَتْ في البحرِ.. وفيما هي تبكي وتفكِّرُ.. رأَتْ ظِلًّا يقترِبُ مِنْها.. وحينَ رَفَعَتْ رأْسَها وَجَدَتِ الخالةَ (أُمَّ مِشْعَل) تَقِفُ بالقُرْبِ منها متسائلةً:

ـ مَن.. مَن يَبكي هُنا..؟؟ وردة..؟؟ ماذا بِكِ يا ابْنَتي..؟؟ ما الذي حَدَثَ لَكِ..؟؟ هيَّا معي.. سآخُذُكِ معي إلى بيتي..

في تلكَ اللحظةِ نَهَضَتْ «وردة» من مكانِها وهِيَ



تُحاوِلُ حَمْلَ الصُّرَّةِ المبلولةِ.. فساعَدَتْها السيّدةُ (أُمُّ مِشْعَل) وحَمَلَتْها عَنْها.. وخصوصًا أنّها قَدْ أصبَحَتْ ثقيلةً الآنَ بَعْدَ أنِ امتلأَتْ بالماءِ.. وفي بيتِ الخالةِ (أُمِّ مِشْعَل) هَدَأَتْ «وردة» قليلًا.. مَعَ صَوْتِ (أُمِّ مِشْعَل) الدّافِئِ والحنونِ.. الذي ساعَدَها على التوقُّفِ عَنِ البكاءِ.. ثم شَرِبَتْ بعضَ الماءِ.. وجَلَسَتْ أمامَ الخالةِ (أُمِّ مِشْعَل) وهِيَ تَرْوي لَها الحكايةَ معَ الصُّرَّةِ مِنذُ خُروجِها منَ البيتِ.. وحتّى ذَهابِ الصغيراتِ عَنْها وتَرْكِهِنَّ لَها وحدَها.. مع الصُّرَّةِ المَبلولةِ..

كانَتْ «وردة» خائفةً كثيرًا وهِيَ تَحْكي الحكايةَ.. فهِيَ خائفةٌ من أن تَصِلَ القصّةُ إلى أُمِّها.. وخائفةٌ من أن تَخْسَرَ كلَّ ثيابِ العيدِ.. لكنَّ (أُمَّ مِشْعَل) طَمْأَنَتْها كثيرًا.. وأخبَرَتْها أنَّها ستَجِدُ الحَلَّ..

إلّا إنّ «وردة» لا تزالُ غيرَ مصدِّقَةٍ لِما حَدَثَ..



فلَوْلا مُخالَفَتُها لأوامِرِ أُمِّها لَما كانَ قد حَدَثَ كُلُّ ذلكَ.. فهِيَ الآنَ نادمةٌ كثيرًا على ما فَعَلَتْهُ.. وتَتَمَنّى أن تصحِّحَ خطأَها من دونِ أن يَعرِفَ أحَدٌ بذلِكَ وخصوصًا أُمَّها..

لكنَّ «أُمَّ مِشْعَل» نَبَّهَتْها إلى أهميَّةِ العودةِ إلى البيتِ قَبْلَ أن تَقْلَقَ أُمُّها علَيْها.. وطَلَبَتْ مِنْها أن تُخْبِرَ أُمَّها بِما حَدَثَ من دونِ خَوْفٍ.. فهِيَ لا بُدَّ من أنّها ستُسامِحُها.. ولن تَغْضَبَ مِنْها طويلًا..

كما أخبَرَتْها أنّها ستُحاوِلُ بَذْلَ قُصارى جُهْدِها لِتُنقذَ الثيابَ من التَّلَفِ.. فَقَطْ علَيْها أن تقولَ الحقيقةَ كاملةً لأُمِّها.. من دونِ خداعٍ أو كذبٍ.. حتّى تَعرِفَ كيفَ يُمكِنُها أن تَجِدَ لِبناتِها ثيابًا للعيدِ إذا لم تَصلُحْ تلكَ الثيابُ بعدَ اليومِ...

سارَتْ «وردة» في الطريقِ عائدةً إلى المنزِلِ.. وفي رأسِها أسئلةٌ لا جوابَ لها.. والجوابُ الوحيدُ الذي



تَعرفُه هو أنَّها ستُعاقَبُ عقابًا شديدًا.. وسوفَ تُحرَمُ هي وأخواتُها من ثِيابِ العيدِ.. فهَلْ تقولُ الحقيقةَ وتَنتهي من هذا الأمرِ وتَنالُ عِقابَها..؟؟ أم تَصمُتُ وتَتْرُكُ الأيامَ لِتُخبِرَ أُمَّها بالحقيقةِ..

وحينَ وَصَلَتْ إلى البيتِ تَلَقَّتْها أُمُّها بفَزَعٍ شديدٍ.. وهي تَرى حالَها وثيابَها المبلَّلةَ.. وعَينَيْها الباكيتَيْن.. وتُحاوِلُ أن تَعرِفَ ما بها.. لكنَّ «وردة» كانَتْ تَرتَجِفُ من الخوفِ والبردِ أيضًا.. وهي تردِّدُ:

ـ أُمّي.. الثيابُ.. الثيابُ..

لكنَّ أُمَّها ضَمَّتْها إلى صَدْرِها وهي تقولُ:

ـ تَفديكِ كلُّ ثيابِ الدُّنيا يا ابنتي.. المُهِمُّ أنتِ.. تعالَيْ لأُغيِّرَ لكِ ملابسَكِ وأدفئَكِ.. تعالَيْ يا صغيرتي...

وفي دقائقَ كانَتْ «وردة» في ثيابٍ دافئةٍ أُخرى غيرِ مبلولةٍ.. وقد وَضَعَتْها أُمُّها في الفراشِ وغَطَّتْها



وهي تُحاوِلُ معرفةَ سبَبِ بُكائِها.. إلّا إنها في النهايةِ تَرَكَتْها لتهدَأَ وترتاحَ.. وطلبَتْ من أخواتِها الصغيراتِ مُراقبَتَها وعَدَمَ إزعاجِها أبدًا...

أيامٌ تَمُرُّ.. و «وردة» في الفراشِ.. حرارتُها مرتفعةٌ.. لا تَقبلُ أيَّ طعامٍ.. ولا تَقبلُ النهوضَ من الفراشِ.. وجْهُها شاحِبٌ جدًّا.. وتظلُّ تَبكي معظمَ وقتِها..

خافَ أبوها وأُمُّها كثيرًا من حالتِها.. ولَمْ يَعرِفا ماذا يَفعلانِ لإنقاذِها من تلكَ الحمَّى وذلكَ الهذيانِ الذي لا ينقَطِعُ.. واقترَحَ والدُها أن يُحضِرَ الملا(١) «إبراهيم» بعدَ صلاةِ العشاءِ.. ليقرأَ علَيْها بعضَ الرُّقْيا.. فربَّما أصابَها شيءٌ سيِّئٌ وهي عائدةٌ من بيتِ (أُمِّ مِشْعَل)..

وفي المساءِ.. بعدَ أن صلّى الأَبُ في المسجِدِ صلاةَ العشاءِ والتراويحِ.. عادَ إلى البيتِ.. وبِصُحبتِهِ

---

(١) الملا: هو رجل الدين الذي يعلم الصغار القراءة وقراءة القرآن الكريم..



الملّا «إبـراهـيـم».. الـذي أزعَـجَـهُ خَبَرُ مَرَضِ «وردة» وهذيانِها من دون سببٍ.. وأعلنَ استعدادَهُ لِلمُحاولَةِ في مساعدَتِها على التحسُّنِ والشِّفاءِ بإذنِ اللهِ.. وإبعادِ العينِ والحسَدِ عنها بإذنِ اللهِ.. وهو يأمُلُ أن تُشْفى لسماعِ القرآنِ الكريمِ.. وخصوصًا أنَّهم في شهرِ رمضانَ المباركِ...

وفي البيتِ.. كان الملّا «إبراهيم» يجلِسُ مع والدِها قربَ رأْسِها وهو يقرأُ لها الرُّقيا.. بوجودِ أخواتِها الصغيراتِ الخائفاتِ علَيْها كثيرًا.. وأُمِّها أيضًا..

وبينما كانَ الجميعُ منشغلًا بحالةِ «وردة» سُمِعَ صوتُ طَـرْقٍ على الـبـابِ.. ونهضَتْ إحـدى الصغيراتِ لِتفتَحَ البابَ.. وعادَتْ وهي تُسِرُّ بِضْعَ كلماتٍ في أُذُنِ أُمِّها التي نَهَضَتْ من مكانِها لِاستِقبالِ الضَّيْفِ القادِمِ.. وكانَ الضَّيْفُ القادمُ مفاجأةً جميلةً للجميعِ.. إنَّها «أُمُّ مِشْعَل».. جاءَتْ



لِتَطْمَئِنَّ إلى صحةِ «وردة».. بعدَ أن أخبَرَها زَوْجُها بأن الملّا «إبراهيم» ذَهَبَ مع والِدِ «وردة».. ليرقِيَها بعدَ أن طالَ بها المرضُ..

ودَعَتْها «أُمُّ وردة» إلى الداخلِ حتّى ترى «وردة» بنَفْسِها وتَطْمَئِنَّ إليها.. وبينما هي واقفةٌ قُرْبَ بابِ الغرفةِ قالَتْ «لأُمِّ وردة»:

ـ لقد أحضَرْتُ مَعي ثيابَ العيدِ كلَّها.. فَقَدِ انتَهَيْتُ مِنْها مبكرًا.. وأتمنّى أن تُعجِبَكِ وتُعجِبَ البناتِ..

ودَخلَتْ «أُمُّ مِشْعَل» وهِيَ تَحمِلُ الصُّرَّةَ الجافَّةَ المَليئةَ بالثيابِ الجديدةِ.. وما إن رأَتْها «وردة» حتّى قامَتْ مُسرِعةً من فِراشِها.. تُمْسِكُ بالصُّرَّةِ من يدِ «أُمِّ مِشْعَل».. ثُمَّ ألقَتْ بِنَفْسِها في حُضْنِ «أُمِّ مِشْعَل» قائلةً:

ـ شكرًا.. لقَدْ أنقذتِني..

وأمامَ دَهشَةِ الجميعِ.. كَبَّر الملّا «إبراهيم» لقيام



«وردة» من مَرضِها.. وكبَّرَ الأبُ والأُمُّ وهلّلا لمشيئةِ اللهِ بشِفاءِ ابنتِهِما على رُقْيا الملّا «إبراهيم».. ولم يعرِفا بَعْدُ السبَبَ الحقيقيَّ لمَرَضِ «وردة».. وقيامِها من مَرَضِها بهذِه الطريقةِ.. إلا بَعْدَ أيامٍ قليلةٍ.. حينَ بَـدَأَتْ «وردة» تتناولُ الطعامَ من جديدٍ.. وبدَأَتْ صِحَّتُها وعافِيَتُها تعودانِ إليها بَعْدَ ذلكَ المرضِ الذي هدَّ جَسَدَها الصغيرَ.. وذلِكَ الخوفِ الذي كادَ يَقْضي علَيْها للأَبد..

فحينَ بدأَتْ «وردة» تتماثَلُ لِلشِّفاءِ.. جَلَسَتْ مع والدَتِها وأخواتِها.. بصُحبَةِ السيّدةِ (أُمِّ مِشْعَل) وبدَأَتْ تَرْوي الحكايةَ لهُنَّ من بِدايَتِها إلى نِهايَتِها.. وقرَّرَتْ أنّها لن تعودَ إلى مثلِ هذا الفعلِ مرّةً أُخرى أبدًا مهما حَدَث.

وفي هذِه اللحظةِ كانتْ (أُمُّ مِشْعَل) تَتَبادَلُ معَها نَظَراتٍ مع ابتسامةٍ غريبةٍ بينَهُما.. في حينِ رفعَ



الجميعُ أيديهِم نحو السماءِ قائلينَ بِصَوْتٍ واحدٍ:
ـ الحمدُ للهِ.. على كلِّ شيءٍ..

أطيب تحية من حصة العوضي



